المرأة والأزهر

جامعة الزهراء ... ؟!

الأستاذ محمد محمود زيتون

يستعد العالم الإسلامى الآن للاحتفال بالعيد الألفى لأقدم جامعة فى الإسلام . وذلك على أثر اللفتة الملكية الكريمة التى تفضل بها جلالة الفاروق المعظم على الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

والاحتفال بهذه الذكرى المجيدة إنما ينطوى على المعانى السامية التى حرص هذا الجامع العتيق على أدائها منذ أقدم العصور ، فلم يعبأ بخيول نابليون ، ولا بمدافع الإنجليز . ذلك بأن الجامع الأزهر هو الثقافة الإسلامية تجسمت فى ألف سنة من الزمان ، وانبثقت أشعتها على ألسنة العلماء ، وتحت ألوية الزعماء ، وبين صفحات الكتب والمجلات وعلى متن الأثير اللاسلكى

ويكفى الأزهر أن تحتل رسالته الإنسانية مكانها الرفيع من تاريخ العلم ، لأنه صاحب اليد الطولى فى رعاية لغة القرآن ، فكان رجاله غواصين على لآلىء الحكمة والشريعة، وفرائد الأدب والتاريخ . ودور الدنيا والدين، وقد توارثوها على الأيام والأحكام فصانوا خزائن كنوزها على الدوام

وبين العلم والسلام وشيجة كبرى لا تنفض ، وعروة وثقى لا تنفصم ، « والعلم رحم بيننا » حقا وصدقا كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم لدى استقباله مندوب الفاتيكان بالأزهر منذ أيام . ولعل فى احتفالنا بعيد الأزهر تجديداً لهذه البشارة الكريمة، وتبشيراً بالرسالة الإسلامية التى محورها القرآن الشريف وهو ينبوع التراث الثقافى الذى نعتز به ، وندعو الناس إليه

والدعوة الإسلامية لم تقتصر على الرجال دون النساء ، فقد بعث الله نبيه للناس كافة، من غير تفرقة بين العناصر والأجناس ، وارتفعت الراية الكبرى بأيدى المسلمين والمسلمات على السواء ، حتى لقد أوصى النبى (ص) فقال « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أى عائشة

فما بال هذه الجامعة الإسلامية العميدة قد أقفرت أروقتها وحلقاتها من المرأة المسلمة طوال هذا الألف الطويل من السنين ، وهى الجامعة التى أرسى قواعدها المعز لدين الله مؤسس الدولة الإسلامية التى انتسبت إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام، فازدهى التاريخ بهذين الاسمين الخالدين « الدولة الفاطمية » و « الجامع الأزهر ؟ »

ولا يستطيع أحد أن ينكر المرأة كعنصر قوى فى تاريخ الإسلام ، فقد كانت خديجة أول حواء آمنت بمحمد . وهى أم البتول فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وحولها تألقت صفحات السيرة بالنجوم الزاهرة من أمهات المؤمنين ، والصالحات من أزواجهم وبناتهم وأخواتهم . ولن ينسى التاريخ عائشة بنت الصديق ، أو أختها أسماء ذات النطاقين ،أو صفية عمة رسول الله، أو أم عمارة التى دافعت عن النبى بترسها ،أورمت عنه بسهمها ، أو زنيرة التى عميت فى سبيل الله ، أو سمية أم عمار بن ياسر التى لقيت الأذى الشديد بسبب عقيدتها ، أو الخنساء الشاعرة التى كان يقول لها النبى: هيه ياخناس، أو رابعة العدوية التى عشقت ربها عشقاً روحانيا خالصاً

وما كانت صفحة من كتب السيرة لتخلو من ذكر هذه الصفوة من المسلمات اللائى تعلمن أمور الدين فى عهد النبى ، إذ كانت تجيئه المرأة تسأله فيجيب ، أو تأتيه وافدة النساء تتعلم منه وتعلم غيرها ، بل لقد كانت المرأة منهن تنكر قومها ، بل أباها وأمها وتلحق بدين محمد ؛ فهذه جميلة تتزوج من حنظلة مع أنها بنت رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، وهذه أم حبيبة تتزوج النبى وتمنع أباها أبا سفيان من الجلوس على فراش النبى ، وهذه صفية تنكر أباها اليهودى وتتزوج النبى ، وكذلك مارية وأختها سيرين وقد أهداهما المقوقس للنبى فيتزوج الأولى ويهدى الأخرى لشاعره حسان بن ثابت ، كما قامت النساء الأنصاريات بنصيبهن الكامل فى مراحل الدعوة ؛ فقد استقبلن النبى بالمدينة — منذ هاجر إليها — بالدفوف والمعازف ، ويغنين :

نحن جوار من بنى النجار ياحبذا محمد من جار

وهو ـ عليه السلام ـ يداعبهن في ظرف ويقول : أتحبينني ؟ فيقلن : نعم . فيقول : والله يعلم أن قلبي يحبكن ، ولكن مع ذلك كله يندفعن إلى الغزوات كلما تجهزت السير ، واصطف النفير

وضربت المرأة العربيـــة أروع الأمثلة في الثبات بفضل استمساكها برسالة الإسلام . فهذه المرأة الدينارية التي نالت يوم أحد الخبر بمصرع أبيها وأخيها وزوجها وابنها، فتجلدت واحتملت ولم يهمها إلا أن تسأل : وكيف رسول الله ؟ فيقال لها : أمامك . فتقول : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله

وكانت فاطمة وهي بنت النبي تطحن على الرحى بيدهـا ، وتخبز وهي حامل حتى لقد كان بطنها يمس التنور ، وتدير أمر بيتها بنفسها ، فلما طلبت من أبيها خادما أبى عليها ذلك ، فكانت خير قدوة للمرأة في تدبير المنزل

ولن ننسى موقف المرأة المسلمة التي عارضت عمر وهو أمير المؤمنين إذ كان يخطب في حقوق المرأة فيقول خليفة رسول الله : صدقت المرأة وأخطأ عمر . فهل كان يكون ذلك إذا لم تكن المسلمات قد طرقن أبواب المسجد ، لا يحول بينهن في ذاك إلا الحجاب المشروع ؟

هذا ، وإن ما نرى بين ظهرانينا الآن من انحلال خلق إنما يرجع إلى إهمال شأن المرأة المسلمة ، حتى إذا حصل الرجل من العلوم الحديثة ما يشاء أعوزته الثقافة الإسلامية . فلا معين له عليها إلا همته وغيرته ، وأما المرأة فإنها — للأسف الشديد — قد حرمت الحرمان كله من هذا وذاك ، فليس حولها من يشجعها على شعائر دينها ، ولا من يدفعها إلى التفقه في أصوله ، والتثقف بآدابه

وهذا النقص يمس حياتنا الاجتماعية في صميمها ، ويسيء إلى التربية الإسلامية في تطبيقها على المرأة ، وإزاء ذلك نرى أن الفرصة قد حان قطافها في العيد الألفي للجامع الأزهر

وخير ما نقدمه للأجيال القادمة ـ في هذه الذكرى ـ هو أن ننشئ « جامعة الزهراء » تؤمها المسلمات في مصر وشتى بقاع العالم ينتزعن من مناهل هذا الدين المتين ، فيتشأن نشأة إسلامية صحيحة ، تتوطد بها دعائم الأخلاق في الأسرة والمجتمع ، وهذا هو الدواء الناجع لكل ما نشكو الآن من تصدع في الروابط الأسرية ، وانصراف عن صوت الإيمان ونداء الضمير ، وتخبط في الانحرافات الزائفة تحت ستار المدنية

وان يعوقنا مع ذلك أن نقتبس اطالبات « جامعة الزهراء » كل ما يمكنهن من التهذيب الفردي ، وتدبير المنزل ، وتربية الأولاد ، ومعاونة الزوج ، والخروج من الأسرة إلى أوسع نطاق اجتماعي في داخل الحدود التي رسمها الإسلام كدستور سماوي ، ونظام إنساني شامل لنواحي العلم والعمل

فإذا أردنا أن نسد على الفتن مسالكها ، ونفتح لمستقبل الأجيال القادمة باب السعادة ، فما علينا إلا أن نشيد للمرأة المسلمة « جامعة الزهراء » إلى جانب « الجامع الأزهر » وعندئذ ستعرف المرأة الحديثة أين حقوقها وأين واجباتها

محمد محمود زيتون

ظهر المجلد الثالث

من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة

والاجتماع والقصص

للأستاذ احمد حسن الزيات

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد